ألفريد دى موسيه

بين العبقرية والحب ! ...

للأستاذ صلاح الدين المنجد

سلك ألفريد دى موسيه فى شعره طريقاً ما سلكه أحد قبله . فلقد أذاب أنّاته عبرات فى قصائده وأخرجها للناس ، فإذا فيها معان رائعة لا تنفد : تبسم بالذكرى ، وتموج بالزفرات ، وتنسم بوقد الجوى ساعة ، وعطر الهوى ساعات ...

وإنك لتجد فى حياته الخاصة أطاريف كثيرة تتجلى فى حبه اللاهب وصباه الفاجر وطفولته اللاهية . فقد كان فتى غرهانقاً يخلب نساء ، ذا شعور من ذهب استرسلت إلى كتفيه . وكان أنيقاً فى لباسه، رقيقاً فى طباعه ، رفيقاً بأصدقائه . حفلت طفولته بالترف والنعيم ؛ فقد كان أبوه ذا يسار وسعة ، فنشأه تنشئة فيها إدلال وتنعمة ؛ يلهو فى النهار مع ابنة عمه بين الزهر ، ويصغى فى المساء إلى أحاديث عمه عن نابليون — الذى كان آنئذ قد ملأ الدنيا وشغل الناس — وأقاصيص جدّه عن الأيام الخوالى ، وأعاجيب «ألف ليلة وليلة» و «دون كيشوت» ، وغيرها ؛ فكان يشعر بلذة عميقة فى تخيل تلك العوالم التى تفيض بالحب، وترف بالبطولة، وتسجو بين السعود والنحوس .

ألفريد دى موسيه

وعشق شاعرنا ابنة عمه ، ولمّا يبلغ الرابعة من عمره ؛ وقد كانت تقص عليه تحت الشجر وبين الزهر أحلى الأقاصيص فسألها الزواج ذات يوم ، وهو لا يدرى من أمره شيئاً . فضحكت منه . وتضطر بعد شهور إلى الرحيل عنه ، فيبكى لفرافها ، ويحزن لبعدها ؛ وتكون هذه الدموع أول ما ذرف الشاعر فى سبيل الحب ...

وكان لهوه وترفه يدفعانه إلى أعمال فيها عبث الطفولة الساخر الذى لا يخشى شيئاً ، أو يحاب أحداً ؛ فلقد ألقى بكرة البلياردو يوماً على مرآة فى البهو فحطمها ، وعمد إلى نجف الصالة فى يوم آخر فرّقها ؛ فلم يُسأل عمّا فعل خشية أن يثور حسه الرهيف فيُجهَدَ جسمُه النحيف .

ولما التحق شاعرنا بكلية هنرى الرابع لقى من رفقائه أذى كثيراً : كانوا يسخرون منه ويهزأون به ويسمونه « بالآنسة » لشعره الأشقر الجعد ، ولربطة عنقه الزاهية . فكان يصبر صبراً جميلاً ، ويدعهم يلعبون ويمرحون ؛ حتى إذا ما أتى الامتحان أراهم الجد كيف يكون، والجوائز كيف تنال !

جورج صاند

وما كاد ينهى درس الفلسفة حتى ظهر ميله للأدب، ولكنه كان يريد أن يبرع فيه. كتب ذات مرّة إلى صديقه «بول فوشيه» يقول له :

« أنا لا أريد أن أكتب الآن ، فإذا كتبت فيجب أن أكون شكسبير أو شيلر .»

ودرس شاعرنا الحقوق وقليلاً من الطب ، وعنى بالرسم والأدب والموسيقى . وتركته أسرته يفعل ما يشاء ، فلم يكن بحاجة إلى العمل الذى يدر المال ، وكان الزمان أنيقاً والعيش رقيقاً وأهله كما قلنا من ذوى اليسار

واستطاع صديقه « فوشيه » أن يعقد أواصر الصداقة بينه وبين هوغو ، وأن يدخله فى مجمعه الأدبى فتعرّف هناك على «دقينى» و « دوماس » والنقادة « سانت بوف » .

وكان هذا النفر يقضى أمساء الآحاد عند القصصى الكبير

«شارل نوديه» مع «لامرتين» و«بلزاك» و«جيرار دي نرفال[1]» العاشق المجنون و«غوتييه» و«دي لاكروا»؛ فكانوا يستمعون إلى أقاصيص «نوديه» ويتناشدون الشعر على حين تجلس ابنة صاحب الدار مارى إلى البيان «ورأسها الجميل الأشقر يلمع كالشقيقة بين سنابل القمح كما يقول موسيه، وأناملها الناعمة تتنقل هنا وهناك، ونحن نستمع إلى الشعر، أو نجد فى الرقص»

وكان موسيه إذ ذاك وضيء الطلعة متلألىء الوجه يخلب الفتيات. حتى ليصفه «بانفيل» بأنه كان «كالإله الشاب الجميل لتجعد شعره المسترسل إلى كتفيه كأنه الموج الراعش تحت أشعة الشمس»؛ فأخذ يغشى المجالس ويتنقل بين الفتيات، وينظم الأشعار ويكتب أقاصيص أسبانيا وإيطاليا. فردد الناس اسمه، ثم جذبه المسرح نحوه، فإذا بصاحب «الأوديون» يطلب منه مسرحية شديدة الحماسة: فكتب الشاعر «ليلة البندقية» فشلت «بين الصفير والضجيج» وباءت بفشل عظيم.

على أن هذا الفشل لم يبعد شاعرنا عن المسرح، فلقد كتب بعد ذلك مسرحيات كثيرة أخفق بعضها ونجح بعضها، واستطاع بفضل ذلك أن يصبح خبيراً أدبياً لمجلة «باريس» و«الطان». ثم نشر أشعاره فى مجلة «العالمين». وفى هذه الفترة مات أبوه.

عندئذ عاش فتى مغامراً يرتاد الملاهى، ويضاحك الحسان، ويعاقر الخندريس. والتقى ذات يوم بجورج صاند، وكانت قد نبه ذكرها، واشتهرت بأقاصيصها ومغامراتها، وصرمت حبال «ساندو» عشيقها ... فأعجبته وأعجبها، ثم دعته بعد أيام إلى دارها وهناك تعاهدا على أن يبقيا صديقين ويعيشا معاً

وبدأ الحب يشب وينمو، فعاش معها فى عالم زاخر بالأمانى مائج بالرؤى، فظللته بعطفها ووسلها، وأذاقته طعم الوجد والهوى، وأسمعته أغانى الحب فسكر وانتشى، وعاش معها فى فيبوبة رف النعيم فى جنباتها، وضحك على حفافيها اللهى: قصف، جنون، لهو، شباب، لذة، سكر. تلك كانت حياتهما؛ على أنهما لم يمتعا بهذا كله طويلاً وأتت رحلتهما إلى إيطاليا ليذهب كل شىء... وليودعا آمالها الضاحكات، ويعود الشاعر إلى وطنه ليمعن فى البكاء

فلقد أرادت جورج أن تذهب إلى (البندقية) مدينة الحب والشعر؛ فلم ترض أمه عن هذه الرحلة خوفاً على ابنها. فأقسمت لها جورج لتمنين به العناية كلها. وسافر العاشقان إلى البندقية فوصلا إليها فى يونية من عام ١٨٤٣

وكانا لا يزالان فى نشوة الحب وفوران الأحلام. فعاشا فيها أياماً لذة: كانت آخر أيام الهوى؛ فقد أصابت جورج حمى نقل مرت على البندقية فى جيئتها، فعنى بها الشاعر؛ ثم مرض الفريد بعد شهور، فأحضرت له طبيباً اسمه «باجيلو» أعجبها ... فتركت موسيه فى غرفته مريضاً وتبعت الطبيب، فتخاصم الشاعر وحبيبته وانكب على الخمر يعاقرها لينسى الفاجعة التى أصابت حبه وقلبه، ثم ترك جورج مع الطبيب وعاد إلى باريس وحيداً

لم ينس موسيه فى باريس جورج. فكان يمر على مغانى حبهما، ينظر إليها فيذكر ليالى الوصل، فتشجيه الذكرى ويعود إلى نفسه يذرف الدموع، وينظم «الليالى» ويتسلى بالرسائل التى كانت ترسلها إليه وتنصح له أن يحب غيرها، وأن يتذوق الملذات كلها، «ليرتشف قلبك لذات الحياة جميعها ... ولكن ليؤد رسالته جيداً لتستطيع أن تردد يوماً إذا نظرت إلى الماضى فتقول: لقد تألمت كثيراً وخدعت أحياناً، ولكنى ارتشفت وأحببت ... لقد عشت أنا بنفسى ... لم أكن شخصاً خلقته كبريائى وأوجده وهمى ...»

وانكب شاعرنا يكتب ويؤلف، ثم عمد إلى اللذات يرتشفها وإلى الخمور يعاقرها، وهو يتألم ويبكى ويقول:

«دع هذا الجرح القدس ... دعه ينزف»

«فلا شىء يجعلنا عظماء ... كالألم الشديد ...!»

وفى سنة ١٨٤٨ قبل الشاعر فى المجمع العلمى الفرنسى عضواً، وهو فى إحدى الحانات ... على أنه لم ينتفع بالعيش بعد جورج أبداً: فقضى حياة بائسة، وخبت تلك العبقرية الوهاجة وانطفأ ذلك الذكاء المشع، وعاش الجمال الخلاب ومات وله من العمر سبعة وأربعون عاماً وهو يقول:

«وأخيراً ... أريد أن أنام ...!»

«دمشق» صبحى الدهنى المحامى

(١) أنظر مقالنا عنه فى العدد ٣١٠ من «الرسالة»

معهد التناسليات
معهد التناسليات تأسس بالدكتور ماجنوس الخبير بشارع الفالدرة بعمارة مدرسة فتياتها شارع المبتديان تليفون ٥٣٥٧٨ يعالج جميع أمراض الرجال والنساء والشباب والشيخوخة المبكرة. ويعالج بصفة خاصة: بزيادة الحساسية طبقاً لأحدث الطرق العلمية والعيادة من ١٠-١ ومن ٤-٦. ملاحظة: يمكن إعطاء نتائج المراسلة بالتفصيل بمعرفة أعظم الخبراء بمعهد الفالدرة بعد أن يجيب المريض عن الأسئلة البسيكولوجية والجنسية على الطبيعة والتي يمكن الرجوع عليها نظير ٥ قروش